البحث عن خان أيوب بالميدان من دمشق

تساءلت حين دخلت المدينة عن خان ايوب ،
ما دلّني أحد ،
فالتففت ببعضي ، ونمت :
كان وجه المدينه أزرق ...
أشجارها تستطيل وتكبو ، ولكنها تستطيل لتكبو ،
وثالثة تستطيل
وكانت منائرها خزفا مفربيا ،
وبحرا محيطا أزقتها ،
تتقافز منه الوجوه آلتي ترتدي عريها ..
كان بين العراف وبيني رمل الجزيره ،
قلتُ : انتهيت ..
ولكنني حين فتّحت عينيّ ابصرت عينيك ..
ان السماء
نظل ــ كعينيك ــ زرقاء
انك في الشجر ــ الوهم ، والوخز ، بيتي ومكتبتي ،
والسبيل الى سفح سنجار ..
لملمت بعضي وسرت

* *

لماذا يراني جنود الخليفة شخصا غريبا ؟
لاني تحدثت في السوق عمّا وراء النهر ؟

* *

يقول لي السوق شيئا ، يقول لي الشوق شيئا ،
فأقسم بين اثنتين القميص الذي ورث الفتن الداخلية،
والكتب المستباحة ..
أقسم بين اثنتين الشفاه التي تتناول ،
والجامع الاموي الذي يتناول ..
أقسم بين اثنتين الاله .

* *

ولكنني لدمشق، المدينة والجرح ، امنح نار التوحد ،
أعلن في الصحف المشتراة
وفي الصحف المشتهاة بيان الذين رأوا وجهها قبل ان يولدوا،
والذين يريدونها امرأة تتزاوج فيها الشهادة والماء ،
بين الشهادة عشرون ميلا وبين دمشق ..
وعشرة آلاف ميل تناءت دمشق
واشجارها عن دمشق .

* *

مضى زمن كانت الارض فيه تدور على نفسها ،
واتى زمن العاشقين الذين اذا دارت الارض ماتوا،
او اجترحوا الرفض كي يوقفوها

* * *

مضى زمن كانت البندقية فيه التفرّد ، والحلّ ،
انا على رقعة لا تهاجر فيها الخيول .

* * *

مضى زمن كانت المدن العربية فيه ثغورا ،
لقد جاءنا زمن المدن المصرفية

* * *

يراقبني الليــل ...
أعمدة الجامع الاموي العتيقة
تراقبنــي ..
وتدور الازقة بي ، وتدور المنازل خلف«الحريقة»
الى حيث ينفرد الظلّ بي ، والمياه العميقة
واسمع بين الفصون التي ازرقّت الارض منها ورقّت:
أنا الطائــر
أنا الصوت ، والجدول النافر
انا أبن الآله الدمشقيّ ..
اني انتظرتك عامــا فعاما ..
وعامــا فعاما هجرتك ،
لكنني العاشق الفردّ .
ــ هل نتحدث وقتا قصيرا ؟
ــ الا تجلس ؟
هنالك مقهى ، كراسيه سقف ، كان يرتاده العدميون والهاربون ومن يصنعون القنابل سرية ، لوددت
لو اني آتيك منه بفنجان قهوة .
ولكنني ــ ان اردت الحقيقة ــ أخجل من بعض روّادها،
فلنقل ما نشاء هنا .. انني قائل ما تقول .

تفتّح لي خان ايوب ،
ما دلّني احد ،
غير اني دخلت ...
وبين حديقته والدهاليز ابصرتهم يصنعون القنابل ...
انهم اخوتي ، يرسمون دمشق على هضبة اللهوالاحتلال
انهم اخوتي ، يرسمون على النهر اعمدة الجامع الاموي جسورا
جسورا
جسورا
جسورا
جسورا
وقد ينسفون الجسور
الى الناصرة .

* * *

ساسكن في خان ايوب ،
ما دلّني أحد ،
غير اني اهتديت .

بغداد

سعدي يوسف